

الفصل الأول
التنشئة الروحية والجسمية
للفتاة المسلمة
في مرحلة المراهقة

المبحث الأول

التنشئة الروحية

تمهيد:

الدور التربوي للوالدين في التنشئة الروحية للمراهقة:

أولاً: مساعدة الفتاة على تزكية نفسها وتطهيرها من النيات السيئة والنفاق، مع متابعة تحذيرها من العمل المجرد من النية الصالحة، وتقوية عقيدة المراقبة لله والخشية منه في نفسها.

ثانياً: تعميق روح الجهاد في نفسية المراهقة.

ثالثاً: متابعة دعوة الفتاة إلى توثيق صلتها بمصدر القوة والإيمان بالله - سبحانه وتعالى - عن طريق الاهتمام بعبادته بالفرائض والنوافل وفق شرع الله، مع مساعدتها على إدراك روح العبادات المختلفة.

رابعاً: التركيز على جوانب العقيدة المؤثرة في روح الفتاة.

خامساً: تربية الفتاة روحياً عن طريق ربطها بأركان الإيمان الأساسية.

سادساً: تربية الفتاة روحياً عن طريق دعوتها إلى ضرورة حماية الضروريات الخمس وحفظها.

سابعاً : الاستغلال الحسن من قبل الوالدين لما لدى المراهقة من قابلية شديدة للاستهواه وصيانتها عن أقدار الجاهلية ، وتوعيتها بمكر الأعداء ، وبما يحوكونه حولها .

ثامناً : تنمية شعور الحاجة المستمرة إلى الله لدى المراهقة .

تاسعاً : توضيح السعادة الحقيقية للمرأة .

عاشرًا : دعوة الفتاة إلى مجاهدة نفسها باستمرار .

حادي عشر : دعوة الفتاة إلى محاسبة نفسها .

التنشئة الروحية

تمهيد:

مع طفرة النمو في مرحلة المراهقة، يحدث تغير وتطور ونمو في الشعور الديني لدى المراهقة؛ حيث تتفجر لديها شحنة روحية شفافة صافية، ومن أبرز ملامح هذا الشعور الديني :

- قد تميل المراهقة إلى التأمل، والنشاط الديني العملي .
- وقد يتكون لديها شعور ديني مركب مزدوج، يحوي عناصر متناقضة ، فقد يوجد الإيمان بالموت إلى جانب كرهه كنهاية لا مفر منها .

- وقد يلاحظ عليها الحماس الديني ، ويتلون هذا الحماس بالسمات الغالبة على شخصيتها؛ فهناك التحمس المصحوب بالتحرر من البدع ، وقد يصاحب هذا نقد لاذع ، وهناك الاندفاع إلى النشاط الخارجي والاجتماعي والديني ، والانضمام إلى جماعات البر والإحسان ، أو الاقتناع في حماسة بالاقتصار على المستوى الشخصي ، وقد يسيطر التفكير الخرافي ، والتفاؤل ، والتشاؤم ووو . . . على المراهقة في هذه المرحلة ما لم يتداركها الوالدان بالتوجيه الصحيح^(١) .

ويعتبر انطلاق هذه الشخصية الروحية الهائلة لدى المراهقة فرصة ذهبية لوالديها لكي يعيدا تشكيل نفسها على وضعها الصحيح إن كان ذلك قد فاتهم في طفولتها لسبب من الأسباب ، أو يُثبتّا كيانها في صورته السليمة إن كان قد سار في طريقه السليم من قبل ، فيعمقا كل القيم والمبادئ السابقة ، ويزيداها رسوحاً^(٢) .

(١) علم نفس النمو ، حامد عبد السلام زهران ، ص: ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

(٢) منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ٢٢٧ / ٢ ، ٢٢٨ .

دور الوالدين التربوي في التنشئة الروحية للمرأة:

ولتنشئة الفتاة المسلمة المراهقة تنشئة روحية صحيحة ينبغي للوالدين مراعاة العوامل التالية والاهتمام بها:

أولاً: مساعدة الفتاة على تزكية نفسها، وتطهيرها من النيات السيئة والنفاق، مع متابعة تحذيرها من العمل مجرد من النية الصالحة، وتقوية عقيدة المراقبة لله والخشية منه في نفسها،

يجب على الوالدين أن يوضحا للفتاة بأن النيات والإرادات السيئة في النفس كالجرائم في الجسم؛ فكما أن الجرائم تكون سبباً للأمراض الجسمية، فكذلك النيات والإرادات تجعل الروح مريضة، وعليهما أن يضربا لها مثلاً على ذلك بقوله - تعالى -: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادُهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾ [البقرة: ١٠]، وبقوله - تعالى - أيضاً: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَانَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩]، ويبيينا لها بأنه - سبحانه - عبر في هاتين الآيتين عن تلك الإرادات والنيات السيئة بالمرض، كما عبر عنها بالرجس في قوله - تعالى -: ﴿وَأَمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادُهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبه: ١٢٥]؛ لأن الرجس المادي كما هو منفر فكذلك رجس القلوب من النيات السيئة والنفاق رجس معنوي منفر هو الآخر. ومن ثم كما ينفرانها من الرجس والقدارة، ينفرانها من رجس القلوب وقدارتها؛ إذ إن أضرار هذه الأخيرة لا تقل عن أضرار الأولى بأي حال من الأحوال.

ويؤكدا لها بأن الفوز النهائي، والنجاح الأخرى مرهون بسلامة القلب من تلك الرذائل لقوله - تعالى -: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنٌ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، وأنه لذلك كلف الله كل إنسان بأن يعمل على

(١) ﴿أَصْغَانَهُمْ﴾ أحقادهم الكامنة، انظر: كلمات القرآن، حسين مخلوف، ص: ٣٨٤.

ترزكية نفسه، وتطهيرها من الرذائل والشرور، فقال - تعالى - : ﴿ وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ ﴿ فَاللَّهُمَّ إِنَّمَا فُجُورُهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مِنْ زَكَّاهَا ﴾ ﴿ وَقَدْ خَابَ مِنْ دَسَّاهَا ﴾ . [الشمس: ٧ - ١٠] ^(١).

ومن ثم يعمل الوالدان على مساعدتها على ترزكية نفسها، وتطهيرها من تلك الرذائل النفسية اقتداءً بالرسول ﷺ الذي أرسله الله - تعالى - مبلغًا ومزيكاً لنفس الناس بالتربيـة والتعلـيم والحكـمة، فقال - تعالى - : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيْكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَنْهَا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيَعْلَمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١] ، ويبصرانها بكيفية هذا التطهير، وهذه الترزكية، ومن ثم كيفية الحذر من تسرب الرذائل إليها بعد ذلك - تماماً كما يكونان لديها الوعي الصحي، ويعلمانها كيف تحمي نفسها من الأمراض المختلفة، وكيف تحافظ على صحتها وسلامة جسمها ^(٢).

وما يجب أن يحرص عليه الوالدان متابعة تعويذ الناشئة مراقبة الله - تعالى - في كل أمر جليل أو حقير، وألا تكون غايتها رضا الناس، والفوز بإعجابهم ومديحهم، بل أن تعتاد احتساب النية الصالحة في كل ما تأتي وتذر لتكون أعمالها على أحسن أحوالها، قياماً بالواجب الدنيوي مع عدم فوات الأجر الأخرى المترتب عليها إذا صاحبتها النية الصالحة، واقترب بها احتساب الثواب.

وتربيـة الفتـاة على العمل المـجـرد من النـية الصـالـحة لـه نـتـائـج سـيـئـةـ منـهـاـ . علىـ سـيـيلـ المـثالـ - :

- عدم إتقانها العمل عند غفلة الرقيب البشري، ومن كانت هذا دأبها ودينهـاـ فلا بد أن يعثر على تقصيرـهاـ ، فـتـتـجـهـ إـلـيـهاـ المسـاءـلةـ ، وـيـلـحـقـهـاـ اللـوـمـ ، وـقـدـ يـنـالـهاـ شـيءـ منـ العـقـابـ .

(١) ﴿ دَسَّاهَا ﴾ : نقصـهاـ وـأـخـمـلـهاـ بـالـفـجـورـ ، انـظـرـ : كـلـمـاتـ الـقـرـآنـ ، حـسـنـينـ مـخـلـوفـ ، صـ : ٥٠٣ـ .

(٢) جـوانـبـ التـرـبيـةـ الإـسـلامـيـةـ الـأسـاسـيـةـ ، مـقـدـادـ يـالـجنـ ، صـ : ٢٤٥ـ ، ٢٤٦ـ .

- اعتيادها مراقبة الخلق في أعمالها الدنيوية، ومن ثم ينتقل هذا الاعتياد إلى عبادتها ف تكون رباءً ونفاقاً.
- من فقدت النية الصالحة فلا بد أن يصيبها الكلل في عملها، وينالها السأم، وت فقد الرغبة في الاستمرار فيه لشعورها بأن ما ينالها من حطام الدنيا على هذا العمل أقل من الجهد الذي تبذله.
- يكون عملها قياماً بالواجب الديني فقط ، ويفوتها الأجر الأخرى.
- تعاملها مع الناس فيسائر المعاملات يصبح بهذه الصبغة؛ إذ تحاول أن تأتي بعملها في صورة مثالية أمام البشر من سرعة الإنتاج، وبشاشة في الوجه حتى تنال رضاهم، واستحسانهم، ولا مانع أن يصاحب هذا العمل في الخفاء البخس والظلم والتطفيف^(١)، ولقد ورد في القرآن الكريم تصوير لواقع هذه الفئة المنحرفة حيث قال - تعالى :- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^٨ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدُعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩، ١٨] ، قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : «قال ابن جريج : المنافق يخالف قوله فعله ، وسره علاناته ، ومدخله مخرجها ، ومشهده مغييه»^(٢).
- لذلك يلزم الوالدين إذا أرادا أن يجنبوا الفتاة ذلك دعوتها إلى ما يلي :

أ- استشعار الرقابة الإلهية في كل أحوالها، وتذكر قوله - تعالى :- ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدِيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]^(٣) ، قوله - عز من قائل - : ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن

(١) من أحطئاتي في تربية أولادنا ، محمد عبد الله السجيم ، ص: ٢٢ - ٢٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين إسماعيل بن كثير ، تقديم: يوسف المرعشلي ، ١ / ٥٠ .

(٣) ﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾: ملك حافظ لأقواله معد حاضر ، انظر : كلمات القرآن ، حسين مخلوف ، ص: ٣٩١ .

تَكُّ مُثْقَلَ حَبَّةً مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ [لقمان: ١٦] ، ونحوهما من الآيات.

ب- استحضار النية الصادقة في كل عمل تعمله سواء كان من أعمال الدنيا أم من أعمال الدين ، سواء كان من أعمال القلوب أم من أعمال الجوارح ؛ فمثلاً تأكل ل تستعين بذلك على العبادة ، وتدرس طلباً للعلم وسلوكاً لطريق الجنة ، وابتغاء مرضاه الله ، وتصلي لكي تؤثر الصلاة على سلوكها وتعاملها^(١) مصداقاً لقوله - تعالى - : ﴿إِنَّمَا مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَهْبَئُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

وما يستحب للوالدين أن يستفيدا وابتتهما من حديث أبي كبيشة عمر بن سعد - رضي الله عنه - قال : قال ﷺ : «إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم له فيه حقاً ، فهذا بأفضل المنازل . وعبد رزقه الله علمـاً ، ولم يرزقه مالـاً ، فهو صادق النية ، يقول : لو أن لي مالـاً لعملت بعمل فلان ، فهو بنيته ، فأجرهما سواء . وعبد رزقه الله مالـاً ولم يرزقه علمـاً فهو يخطب في مالـه بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم له فيه حقاً ، فهذا بأختـث المنازل . وعبد لم يرزقه الله مالـاً ولا علمـاً ، فهو يقول : لو أن لي مالـاً لعملت فيه بعمل فلان ؛ فهو بنيته ، فوزرهما سواء»^(٢) .

وكذلك من قوله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء ما نوى»^(٣) ، وهذا الحديث يرى كثير من أئمة الإسلام أنه ثلث الإسلام ؛ لأن كسب العبد يقع

(١) من أخطائنا في تربية أولادنا ، محمد عبد الله السجيم ، ص ٧٦-٧١ .

(٢) أخرجه الترمذى ، ك/ الزهد ، ب/ ما جاء في مثل الدنيا . . . ، رقم ٢٣٢٥ ، وقال : حسن صحيح .

(٣) أخرجه البخارى ، ك/ بدء الوحي ، ب/ كيف كان بدء الوحي . . . ، رقم ١ .

بقلبه ولسانه وجوارحه ، فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها^(١) .

ومن ورد أن معاوية - رضي الله عنه - كتب إلى عائشة - رضي الله عنها - أن اكتب إلى كتاباً توصيني فيه ولا تكري عليّ ؟ فكتبت إليه : «سلام عليك ، أما بعد : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ، والسلام عليك»^(٢) .

ومن المسلم به أن المراهقة حين تستشعر من أعماق وجdanها أن الله - سبحانه - يراقبها ، ويراها ، ويعلم سرها ونجواها ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وأنه سيحاسبها إن قصرت وفرطت ، ويعاقبها إن انحرفت وزلت ، فستنتهي عن الموبقات والقبائح ، وتكتف عن المنكرات والغواшин .

ومن المعلوم أن حضور مجالس العلم والذكر ، والمداومة على صلاة الفرض والنفل ، والمواظبة على تلاوة القرآن ، والتهجد في الليل ، والاستمرار على صيام الفرض ، والتطوع ، والاستماع إلى أخبار الصحابة والصالحين ، واختيار الرفقة الصالحة ، والارتباط بالجماعة المؤمنة ، وذكر الموت وما بعده ، كل ذلك يقوى في المؤمن جانب الخشية من الله ، والمراقبة له ، والاستشعار لعظمته .

فحربي بالوالدين دعوة الفتاة إلى أن تنهج هذه الوسائل التي تقوى في نفسها عقيدة المراقبة لله ، والخشية منه حتى لا تتجادبها المغريات ، ولا تفتئها زينة الحياة الدنيا ، ولا تقع في محظوظ أو محروم^(٣) .

(١) فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري ، أحمد بن حجر ، ١ / ١١ .

(٢) أخرجه الترمذى ، لـ / الزهد ، رقم ٢٤١٤ ؛ وصححه الألبانى فى صحيحه برقم ٢٣١١ .

(٣) تربية الأولاد في الإسلام ، عبد الله ناصح علوان ، ١ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

ثانياً: تعميق روح الجهاد في نفسية المراهقة:

من الأمور الهامة التي يجب أن يهتم الوالدان بها ، ويوجها اهتماماً إليها : تعميق روح الجهاد في نفس المراهقة ، وترسيخ معاني العزم والمصابرة في فكرها ، وقلبها ، ومشاعرها ، ولا سيما في هذا العصر الذي انحسر فيه حكم الإسلام عن بلاد الإسلام ، واجتاحت المجتمعات موجات المادية ، وعواصف من التحلل والإباحية ، وتغيرات من المبادئ الضالة المضلة ، وأصبحت بلاد الإسلام هدفاً لكل طامع .

وهناك العديد من المراحل التي ينبغي للوالدين أن ينهجاها مع المراهقة لتعزيز روح الجهاد في نفسها ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

١- استشعار الفتاة بشكل دائم أن تحقيق العزة الإسلامية لا يكون إلا بالجهاد ، وإعلاء كلمة الله ، لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذْلَلَةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَزَةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] .

٢- إفهام الفتاة بشكل دائم بأن الجهاد في سبيل الله أنواع ، منها :

* الجهاد المالي : وذلك بأن تنفق لأجل إعلاء كلمة الله ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبه: ٤١] ، قوله ﷺ : «من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له بسبعينة ضعف»^(١) .

* الجهاد التبليغي : وذلك بأن تبلغ الإسلام بلسانها ، وتقييم الحجة بأن دعوة الإسلام حق على الكافرين والمنافقين ، والملحدين والمنحرفين ، مصداقاً

(١) أخرجه الترمذى ، أ/ فضائل الجهاد ، ب/ ما جاء في فضل النفقه في سبيل الله ، رقم ١٦٢٥ ، وقال : هذا حديث حسن .

لقوله - تعالى -: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيِّدُنَّا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبه: ٧١] ^(١)، وقوله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجرهم شيئاً» ^(٢).

* **الجهاد التعليمي:** وذلك بأن تبذل الجهد في تكوين المجتمع الإسلامي علمياً، وثقافياً، وفكرياً، وإعطاء التصور الصحيح عن فكرة الإسلام الكلية عن الكون، والحياة، والإنسان ^(٣). يقول ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه أله جسمه الله بلجام من نار يوم القيمة» ^(٤).

* **الجهاد في المعركة:** فالإسلام قد سمح للمرأة المسلمة أن تشهد المعارك، وجعل لها دوراً في المعركة سواء في ميدان القتال أم في الجبهة الداخلية بشرط الاحتشام وأمن الفتنة والاختلاط، وقد أسهمت المرأة المسلمة - بالفعل - بنصيب في الجهاد في سبيل الله، وهو ذروة العمل الصالح. ففي ميدان القتال كان دور المرأة القيام بخدمات الإعاشة، والإغاثة، والإمداد بالياه، والطعام، والخدمة الطيبة من إسعاف وتمريض، وإخلاء للجرحى والشهداء ^(٥).

وقد روى التاريخ أسماء نساء الأنصار والمهاجرين اللاتي وقفن مع المجاهدين في ميادين القتال، ومن الثابت أنه حتى نساء النبي ﷺ اشتراكن في مداواة الجرحى، و斯基 العطشى من المجاهدين؛ فمما ورد عن إحدى النساء

(١) وسوف تأتي الإشارة إلى دور الفتاة في مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مبحث (التنشئة الاجتماعية للمرأة).

(٢) أخرجه مسلم، ك/ العلم، ب/ من سن سنة حسنة . . . ، رقم ٢٦٧٤.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ٢/ ١٠٨٨ - ١٠٩٠.

(٤) أخرجه أبو داود، ك/ العلم، ب/ كراهة منع العلم، رقم ٣٦٥٨؛ والترمذى، ك/ العلم، ب/ ما جاء في كتاب العلم، رقم ٢٦٤٩؛ وابن ماجه في المقدمة، رقم ٢٦٦.

(٥) التربية الإسلامية للطفل والراهق، محمد جمال الدين محفوظ، ص: ٢٤٧.

ال المسلمات ، و تدعى الربيع بنت معاذ قولها : « كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقي القوم ونخدمهم ، و نرد الجرحى والقتلى إلى المدينة »^(١) . وفي غزوة بدر - مثلاً - كانت السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - تحمل قرب الماء لتسقي المقاتلين ، وكانت تساعدها في ذلك أم سليم زوج أبي طلحة زيد بن سهل ، وأم أنس بن مالك . وما ورد عن أنس - رضي الله عنه - أنه قال : « كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسوقن الماء ويداويين الجرحى »^(٢) . وعنـه - رضي الله عنه - : « لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ ، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لم شمرتاـن أرـى خـدـم سـوقـهـما ، تـقـزـانـ القـرـبـ علىـ متـونـهـما ، ثم تـفـرغـانـهـ فيـ أـفـواـهـ الـقـوـمـ ، ثـمـ تـرـجـعـانـ فـتـمـلـأـنـهاـ ، ثـمـ تـجـيـئـانـ فـنـفـرـغـانـهاـ فيـ أـفـواـهـ الـقـوـمـ » ، وفي رواية : « تـنـقـلـانـ الـقـرـبـ »^(٣) .

أما دور المرأة المسلمة في الجبهة الداخلية فكان دوراً إيجابياً باليقظة ، والحراسة لحماية نفسها ، وحماية القاعدة التي انطلق منها الجيش ، ولقد وصلت إلى حد الاشتراك في القتال فعلاً ، كما فعلت صفية بنت عبد المطلب ، ونسبة بنت كعب في غزوة أحد حينما انهزم المسلمون ، وما ورد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « فأقرع بيننا في غزوة غزاهـا فخرج فيها سهمـي ، فخرجـتـ معـ النبي ﷺ بعدـماـ أـنـزـلـ الحـجـابـ »^(٤) .

(١) أخرجه البخاري ، ك / الجهاد والسير ، ب / رد النساء الجرحى والقتلى إلى المدينة ، رقم ٢٨٨٣ .

(٢) أخرجه مسلم ، ك / الجهاد والسير ، ب / غزوة النساء مع الرجال ، رقم ١٨١٠ .

(٣) أخرجه البخاري ، ك / الجهاد والسير ، ب / غزو النساء وقتلـهنـ معـ الرجالـ ، رقم ٢٨٨٠ والنقـزـ : الوـثـبـ وـالـقـفـزـ . انظرـ : موسـوعـةـ الـحـدـيـثـ الشـرـيفـ .

(٤) أخرجه البخاري ، ك / الجهاد والسير ، ب / حمل الرجل أمرأته في الغزو دون بعض نسائه ، رقم ٢٨٧٩ ؛ ومسلم ، ك / التوبـةـ ، ب / فيـ حـدـيـثـ الإـلـفـكـ ، رقم ٢٧٧٠ .

ومع هذا فقد أخرج البخاري في باب جهاد النساء أن عائشة - رضي الله عنها - استأذنت النبي ﷺ في الجهاد، فقال : «جهادكن الحج»^(١) ، وقال ابن بطال : إن الجهاد غير واجب على النساء ، ولكن ليس في قوله : «جهادكن الحج» أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد ، وإنما لم يكن عليهن واجباً لما فيه من مغایرة المطلوب منهم من الستر ، ومجانبة الرجال ؛ فلذلك كان الحج أفضل لهن من الجهاد^(٢).

ومن المتفق عليه أنه لا يجب الجهاد على النساء إلا في حالة واحدة ، وهي : عندما يهجم العدو على ديار المسلمين ، ولا يوجد من الرجال ما يكفي لصدده ، فعندئذ يجب على العبد بدون إذن وليه ، وعلى الصبي ، وعلى المرأة^(٣).

ثم إن من أعظم أدوار المرأة المسلمة في المعركة هو ضربها القدوة والمثل لزوجها ، وأولادها في الروح المعنوية العالية ، المبنية على الإيمان والعقيدة الراسخة ، فتشجعهم على الخروج للقتال ، وعلى الاستبسال فيه ، ثم تصرير الصبر الجميل عند استشهادهم ، بل تفرح بهذا الشرف الذي حظيت به^(٤).

كذلك مما ينبغي أن ينهجه الوالدان مع المراهقة لتعزيز روح الجهاد في نفسها :

٣ - تذكيرها بشكل دائم بعواقب بطولية للصحابيات - كما مر - لتأسیس بھن ، وتمثیل طریقتهن ومنظمهن ، ومن هذه المواقف - على سبيل المثال - :

* لما هاجر النبي ﷺ وصاحبہ أبو بکر - رضي الله عنه - إلى المدينة المنورة ،

(١) أخرجه البخاري ، ك / الجهاد والسير ، ب / جهاد النساء ، رقم ٢٨٧٥ ..

(٢) فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري ، أحمد بن علي بن حجر ، ١ / ٧٦ .

(٣) عمل المرأة في الميزان ، محمد علي البار ، ص ٢١٨ .

(٤) تطرق عصمة الدين كركر إلى مدى مشاركة الصاحبات في الغزوات ، وأفردت لذلك الفصل الثاني من كتابها : (المرأة في العهد النبوى).

وأقاما في غار ثور ثلاثة أيام، عملت عائشة وأسماء بنتا أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم - في تهيئة الزاد لهما، وقطعت أسماء نطاقها - وهو ما يشد به الوسط - إلى قسمين ليسهل عليها حمل وإخفاء ما كانت تنقل إلى الغار من طعام وشراب، قالت عائشة - رضي الله عنها -: «وضعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب؛ فبذلك سميت ذات النطاقين»^(١).

* وأيضاً سمية بنت خياط، سابعة سبعة في الإسلام ما إن سمع بنو مخزوم بإسلامها - وكانت مولاًة أبي حذيفة بن المغيرة من بنى مخزوم - حتى انقضوا عليها وعلى آل ياسر - زوجها وولديها - يذيقونهم أشد أنواع العذاب، ومير الرسول ﷺ بهم فيرفع بصره إلى السماء وينادي: «صبراً يا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة»^(٢). وتسمع سمية مقالة الرسول ﷺ فتردد وهي ثابتة: أشهد أنك رسول الله، وأشهد أن وعدك حق.

وهكذا فقد ذاقت سمية طعم الإيمان وحلاؤته، فاستهانت بالموت في سبيل عقيدتها، وقضى ياسر نحبه على مرأى منها وسمع، وهي تُوطّن النفس على اللحاق به، ولما يئس الطعاة من سماع كلمة الكفر انقض عدو الله (أبو جهل) عليها وطعنها بحرابة كانت في يده ففاضت روحها إلى بارئها، فكانت أول شهيدة في الإسلام^(٣).

فيؤخذ من هذه الأمثلة التاريخية الخالدة - وغيرها كثير - أن الصحابيات - رضي الله عنهن - كن على جانب عظيم من الشجاعة الفائقة، والبطولة النادرة،

(١) أخرجه البخاري، ك/ المناقب، ب/ هجرة النبي ﷺ ... ، رقم ٣٩٠٦.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٣).

(٣) نساء حول الرسول، محمود مهدي الإستانبولي، ومصطفى أبو النصر الشلبي، ص: ١٩٨، ١٩٩.

والجهاد الجريء، وما ذاك إلا بفضل التربية القوية التي تلقينها من مدرسة النبوة، والبيت المسلم، والمجتمع المؤمن المجاهد. ويوم يمشي الوالدان على هذا النهج، ويوم يربيان فتياتهن على هذه الخصال، ويوم يأخذان بقواعد التربية الصحيحة في تحرير الأولاد. ذكوراً وإناثاً. من الخوف والجبن، يوم يفعلون كل هذا، يتحول الجيل من القلق إلى الثقة، ومن الخوف إلى الشجاعة، ومن الخور إلى العزيمة، ومن الخنوع والذلة إلى حقيقة العزة والكرامة^(١).

٤ - تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفسية الفتاة، لتومن إيماناً جازماً أن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وأن ما أخطأها لم يكن ليصيدها، وأن الأمة لو اجتمع على أن ينفعوها شيء لم ينفعوها إلا شيء قد كتبه الله لها، وإن اجتمع على أن يضروها شيء لم يضروها إلا شيء قد كتبه الله عليها، وأنه إذا جاء أجلها لا يستأخر ساعة ولا يستقدم، وأن الله - سبحانه - هو وحده المحيي والمميت، والمعز والمذل، والضار والنافع، والخافض والرافع، بيده مقاييس كل شيء، وهو على كل شيء قادر^{(٢)(٣)}.

ثالثاً: متابعة دعوة الفتاة إلى توثيق صلتها بمصدر القوة والإيمان - بالله سبحانه وتعالى - عن طريق الاهتمام بعبادته بالفرائض والنوافل وفق شرع الله، مع مساعدتها على إدراك روح العبادات المختلفة:

من الجميل أن يؤكّد الوالدان للفتاة - باستمرار - أن العبادة هي الوسيلة الفعالة ل التربية روحها إذا كانت بمعناها الواسع الذي يشمل كل حياتها، فكل عمل تتوجه

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ٣١٣-٣١٥ / ١.

(٢) المرجع السابق، ٢ / ١٠٩٤.

(٣) وسوف يرد الحديث عن هذا الركن بشيء من التفصيل في موضع لاحق من هذا البحث.

به إلى الله فهو عبادة، وكل عمل تركه تقرباً إلى الله واحتساباً فهو عبادة، وكل شعور نظيف في باطن نفسها فهو عبادة، وكل امتناع عن شعور هابط من أجل مرضاة الله فهو عبادة، وكل ذكر لله في الليل والنهار فهو عبادة، ومن ثم تشمل العبادة حياتها كلها، وتصبح عابدة لله حيثما توجهت إليه، وبهذا المعنى تصبح العبادة هي الصلة الدائمة بينها وبين ربها، وتصبح هي التربية الدائمة لروحها.

ومن المستحسن أن يوضح لها بأن العبادات المفروضة من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، والنواقل التي هي من جنس ما فرض الله على عباده، كلها قصد بها تربية الروح، ومساندة النفس وهي تواجه الحياة الواقعية بما فيها من مشكلات وعقبات.

فالصلوة خاصة هي جوهر العبادة، ومن ثم كانت العناية الشديدة التي يوجهها إليها الإسلام، وهي تبدأ بالطهارة والتطهير، طهارة البدن وتطهيره من كل ما يحول بينه وبين الوقوف بين يدي الله. يقول ﷺ: «الظهور شطر الإيمان»^(١)، ويقول أيضاً: «لا تقبل صلاة بغير طهور»^(٢)، كما أن على الوالدين أن يبيينا للمرأة بأن المسلم حين يتوضأ ينطفئ يديه من الوسخ الظاهر، وينظفهما كذلك مما اجترحتا من آثام، ولا يتم وضوء الحقيقى الكامل حتى يستشعر هذا المعنى، ويتوجه إلى الله بطلب المغفرة، ولعل هذا التوجّه أن يجعله في المرة التالية يتوب. كذلك هو يغسل عينيه لينظفهما من التراب والوسخ، وينظفهما كذلك من كل نظرة آثمة، وحيث يستشعر في نفسه هذا المعنى فلعله في المرة التالية أن يستحبّي من الذنوب، كذلك هو يغسل أذنيه وساعديه وقدميه على هذا النحو ذاته، وقد كان ﷺ وهو يوجه المسلمين لهذا المعنى يقصد ألا يكون الموضوع - وهو مدخل الصلاة - شيئاً آلياً يؤديه المسلم بحكم العادة وهو شارد الفكر، وإنما يريد أن

(١) أخرجه مسلم، ك/ الطهارة، ب/ فضل الموضوع، رقم ٢٢٣.

(٢) أخرجه مسلم، ك/ الطهارة، ب/ وجوب الطهارة للصلاحة، رقم ٢٢٤.

يتوجه له المسلم بنفسه كلها ، وأنَّ يُعبِّرُ هذا المدخل إلى الصلاة بقلب خاشع ، وضمير متيقظ ؛ فال موضوع إذا انحسر إلى مجرد تنظيف لظاهر الجلد فقد يعني عنه أي تنظيف ، ثم يظل يفقد معناه وحكمته حتى يفقد أثره الروحي في أعماق النفس ، وهو التطهير من الداخل ، والتوجه إلى الله بنفس تنظفت حقاً .

وللصلاحة شروطها وأركانها وهيئاتها ، فيوضح الوالدان للفتاة بأنه إذا راعت ذلك كله ، وقامت بها على صفتها المشروعة ؛ فإنها سترك في نفسها آثاراً تربوية عميقة ، فتصل ما بينها وبين ربها ، وتقطع ما بينها وبين الشيطان ؛ حيث يقول تعالى - : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، ومن نهته صلاحته عن الفحشاء والمنكر فقد كَفَرَ بها ذنبه ؛ حيث يقول ﷺ : «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يحوّل الله بهن الخطايا»^(١) .

كما يؤكّد الوالدان للفتاة بأن الصلاة هي علامة أساسية ، ودليل قوي على الاهتداء والتقوى ، وهي سبيل الفلاح ؛ حيث يقول - تعالى - : ﴿فَدُّلِّلَ مَنْ تَرَكَىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى : ١٤، ١٥] ، وأنها الحامية من التخلق بأخلاق أهل النار ؛ لقوله - تعالى - : ﴿إِلَّا الْمُصْلِينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج : ٢٢، ٢٣] ، وهي كما اعتبرها رسول الله ﷺ ملجاً للمسلم ، ومعقله الذي يأوي إليه من ظلمة الغفلة ، وغرية البعد عن ذكر الله تعالى ، فكان يقول لمؤذنه بلال : «يا بلال ، أقم الصلاة أرحنا بها»^(٢) .

(١) أخرجه البخاري ، ك/ مواقيت الصلاة ، ب/ الصلوات الخمسة كفارة ، رقم ٥٢٨ ؛ ومسلم ، ك/ المساجد ومواضع الصلاة ، ب/ المشي إلى الصلاة . . . ، رقم ٦٦٧ ، واللفظ له .

(٢) أخرجه أبو داود ، ك/ الأدب ، ب/ في صلاة العتمة ، رقم ٤٩٨٥ ؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ٤١٧١ .

إن المراهقة في حاجة إلى إدراك روح الصلاة لتحبها، ولترى روحها فيها، ولا يحصل ذلك إلا إذا أدركت بأن الأصل في الصلاة: أن تعبد الله كأنها تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراها، وأن القلب موضع نظر الرب، ولذا كان لزاماً عليها أن تظهر موضع نظره - جل شأنه - وأن تكون صلاتها صلاة الخاشعين لا صلاة اللاهين^(١).

أما بالنسبة لعبادة الصيام فيوضح الوالدان بأن الغاية منها التقوى لله التي تنشأ من الطاعة، تلك الطاعة التي تتطلع بالامتناع عن شهوات النفس، وشهوات الجسد في حين تملك ألا تمنع وألا تطيع، فالصيام حين يؤدى على أصوله، وحين يكون صيام النفس من الداخل لا صيام الأحشاء، وحين يتوجه به الإنسان إلى الله، حينئذ تماً التقوى القلب^(٢).

وعلى الوالدين أن يؤكدا للمرأة بأن مهمتها في هذه الأرض، والغاية التي خلقت لها تقتضي ألا تكون راهبة ولا حيواناً، فلا الروحانية الحالصة، ولا المادية البهيمية المحضية بحقيقة لها القدرة على أداء مهمتها؛ ولذلك فقد أمر الله تعالى - بالصوم ليكون عاملاً هاماً في تحقيق التوازن لها، ولينمي فيها ملكة القدرة على مقاومة المغريات، والاستغناء عن المتع الحسية بمعنويات روحية لا يمكن تحقيقها عن طريق المحسوس. يقول - عز من قائل - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبْ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتُبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٨٣]، ويقول الله - عز وجل - في الحديث القدسي : «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه ليس وأنا أجزي به . . . والذي نفس محمد بيده، لخَلُوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرجهما : إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه»^(٣).

(١) الإسلام وال التربية الروحية للشباب ، طه جابر العلواني ، ص : ١٧ - ٢٢.

(٢) منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ٦٥ / ١.

(٣) أخرجه البخاري ، ك/ الصوم ، ب/ هل يقول إني صائم . . . ، رقم ١٩٠٤ ؛ ومسلم ، ك/ الصيام ، ب/ فضل الصيام ، رقم ١١٥١ .

قال العلامة ابن القيم : «المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات ، وفطامها عن المؤلفات ، وتعديل قوتها الشهوانية ل تستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيتها ، وقبول ما تزكى به مما فيه حياتها الأبدية ، ويكسر الجوع والظماء من حدتها وسورتها ، ويذكّرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين ، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب . . . فهو لجام المتقين ، وجنة المحاربين ، ورياضة الأبرار والقرىءن . . . وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة ، والقوى الباطنة ، وحميتها عن التخلخل الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها . . . فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ، ويعيد إليها ما استلبتها منها أيدي الشهوات ، فهو من أكبر العون على التقوى»^(١) .

ومن ثم يؤكّد الوالدان لفتاة بأنه لهذه الحكم السامية وغيرها مما لا يحيط به علم العلماء ، شَرَعَ الله - تعالى - الصوم ليكون جنة للروح والجسد ، وأنه بعبادة الصوم وما يعود منها على الإنسان من كثير من الفوائد ، وعظيم المنافع الدينوية والأخروية يتحقق التوازن المطلوب والاعتدال والطاقة على الاحتمال وغير ذلك من الأمور الضرورية لتمكينه من أداء مهمّة الخلافة في أرض الله تعالى^(٢) .

أما بالنسبة لعبادة الزكاة التي تعدّ تطهيراً من شح النفس ، وإطلاقاً للروح من الآثرة البغيضة ، وإحساساً بالأخوة التي تجمع الأسرة البشرية الواحدة ، وتُخرج الإنسان عن الشعور بالملك فيما يتلك ، فينبغي للوالدين أن يوضحاً للمرأة بأنها كالصلة عبادة قلبية وروحية وعقلية وجسمية ؛ فللقلب منها النية والعزم ، وعائده منها التطهر من حب المال ، والحرص عليه . وللروح منها التسامي على

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، ص : ١٥٣ .

(٢) الإسلام والتربية الروحية للشباب ، طه جابر العلواني ، ص : ٤٦ ، ٤٧ .

المادة في سبيل خالقها، وعائدها منها الطمأنينة إلى ما عند الله، والإحساس بنعمته حين رزق، ونعمته حين أقدر على العطاء، وفضله حين هدى. وللعقل منها الحكم على الأعضاء بالعطاء ابتعاه للرضا، ورفعاً للبلاء، ووقاية للمعطى من أن يكون عرضة للحقد، ومنعاً للمعطى من الانشغال بالدنيا، ووقاية له من النار في الآخرة، وعائدها منها إدراك الأشياء على حقيقتها، ووضع كل شيء موضعه، والنظر إلى المال على أنه الخادم للإنسان وليس العكس، وأما الجسم فبأعضائه الظاهرة يباشر العطاء والأخذ.

كما يوضح الوالدان للمرأة بأن الله - تعالى - جعل المَنَّ والأَذَى، والرياء، ورجاء الجزاء والشكراً من الناس مبطلاً لـالزكاة، ماحقاً لـثوابها، وما يدل على ذلك قوله - تعالى - : ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَبَعُونَ مَا أَنفَقُوا مِنَّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٢٦٢] قول مَعْرُوفٍ ومَغْفِرَةٍ خَيْرٍ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَبعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ [٢٦٣] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنَّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رَئَاءَ النَّاسَ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثُلُ صَفَوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابْلُ فَتَرَكَهُ صَلَدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [القرآن : ٢٦٤ - ٢٦٣].^(١)

ومن الجميل أن يذكرها الوالدان ببعض فوائد الزكاة وأنها جزء من الإعجاز التشريعي الإسلامي؛ فهي تطهر النفس من البخل؛ لأنها صفة مهلكة كما قال عليه الصلاة والسلام - : «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيمة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»^(٢)، ويقول - تعالى - : ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُم﴾

(١) ﴿صَفَوَانٌ﴾ : حجر كبير أملس، ﴿وَابْلٌ﴾ : مطر شديد عظيم القطر، ﴿صَلَدًا﴾ : أجرد نقائباً من التراب، انظر : كلمات القرآن، حسين مخلوف، ص : ٣٦.

(٢) أخرجه مسلم، ك / البر والصلة والأدب، ب / تحريم الظلم، رقم ٢٥٧٨.

المُفْلِحُونَ ﴿الْخَسْرٌ﴾ [الخشر: ٩]. كما أنها تربى المسلم على الإيثار والتضحية، وتزيل عن قلبه الأثرة والأناية وحب الذات، وهي نظام اقتصادي للتداول لا يمكن لأي نظام غيره أن يؤدي دوره، وهي عملية تطهير للمجتمع بكل عناصره. كما أنها تقضي على شبح الخوف، وتحل الطمأنينة والرضا محله بين أفراد المجتمع كافة؛ فالغني يتعلم منها أن المال الذي في يده مال الله قد استخلفه فيه، فيقوى إيمانه، وترداد ثقته بالله، وذكره له، والفقير يتعلم منها أن الله ضامنه ضد الفقر، وأن له حقوقاً يستطيع الحصول عليها متى شاء لدفع غائمة الفقر وال الحاجة عنه، وأن أصحاب الأمر ما هم إلا إخوان له يشكلون له ضماناً من الفقر والفاقة.

كما أن الزكاة تعلم المسلمين التكافؤ والتكافل؛ فالغني المؤمن بالله العارف لأحكام الزكاة يؤمن أن له آلافاً من الشركاء -هم إخوانه فقراء المسلمين- فيحول ذلك بينه وبين البطر والإسراف، والفقير يشعر بأن له حقوقاً في هذه الأموال فيعاف أن يبسط يده بالاستجادة.

ومن مميزات الزكاة التي يستحب للوالدين تذكير المراهقة بها أن الزكاة لا بد أن تدفع بروح ملأى بالإخلاص، والتواضع لله، والعرفان بالشكر له تعالى، وفي ذلك ما يبعدها عن أن يكون فيها أي تعاالٰ على المدفوع إليه، فالمزكي يعلم أن المال مال الله تعالى، ولو شاء لسلبه النعمة، فكونه معطياً لا آخذنا هي نعمة أخرى تستحق الشكر. وما ينبغي أن يؤكده الوالدان للمراهقة بأن الإحسان الكريم يحمل المزكي والمتصدق على انتقاء زكاته أو صدقته من طيب ماله؛ لأن الله تعالى -هو الذي يقبل الصدقة، ولا يقبل الله إلا الطيب؛ حيث يقول -عز من قائل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتُوا أَنفُقُوا مِنْ طَيَّبَاتٍ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيْمِمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُعْمَضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

ويجمل بالوالدين أن يوضحا للمرأة بأن المسلم مدعو للسخاء والعطاء، والكرم والجود، وأنه ليس الجود بالمال وحسب، وإنما قد يكون بالعمل والمساعدة والأعمال التطوعية لمساعدة أبناء المجتمع، أو أهل الحي الذي يعيشون فيه^(١)، حيث يقول - تعالى -: ﴿وَمَا أَنفَقْتُ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ : ٣٩] ، ويقول ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»^(٢).

أما بالنسبة للحج فالوالدان مطالبان بتعريف الفتاة بأن الحج مناسكه وأركانه وأعماله تدريب على الطاعة والامتثال المطلق والاقتداء والاتباع لما لا يدرك العقل مغزاه؛ فالحاج يتقلب بين مكة ومنى وعرفات والمزدلفة، ثم منى ومكة، يقيم ويرحل، ويكت ويتقل، ويختيم ويقلع، إنما هو ذلك العبد الطائع لكل أمر، المنفذ لكل إشارة، المتنازل بطوعه و اختياره عن حرية، المختار لعبوديته، ينزل بمنى فلا يلبث أن يؤمر بالانتقال إلى عرفات من غير أن يقف بالمزدلفة، ويقف بعرفات، ويظل سحابة النهار مستغلًا بالدعاء والعبادة، و يؤمر بالانتقال إلى المزدلفة بعد الغروب، ويقضي حياته محافظاً على الصلوات في وقتها، و يؤمر بترك صلاة المغرب في عرفة ليصل إليها في المزدلفة جمعاً مع العشاء؛ لأن العبد يجب أن يتحرر من العبودية لأية عادة أو عبادة؛ فال العبودية لله وحده ولا يعبد الله إلا بما أمر وكما أمر، وقد يطيب للحاج البقاء في المزدلفة ولكنه ليس له أن يبقى أكثر من الوقت المشروع لينتقل إلى منى . . . إلخ.

والحج في الإسلام إجابة لنداء الله لكل من ملك الزاد والراحلة، ولذلك كان شعاره: لبيك اللهم لبيك، قال الله - تعالى -: ﴿وَأَذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٣) لِيَشْهُدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ

(١) سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر، عبد الرحمن محمد العيسوي، ص: ٢٠٧.

(٢) أخرجه البخاري، ك/ الزكاة، ب/ اتقوا النار ولو بشق تمرة، رقم ٢٥٦٣.

الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكروا منها وأطعموا البائس الفقير
 ٢٨ ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْهِمًا وَلَيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلَيُطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٩] (١)،
 وما ورد عنه ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرث ولم يفسق رجع كما ولدته
 أمه» (٢)، أي أن من أدى فريضة الحج مراعياً لشروطها، وأدابها، وأخلص لله
 فيها عاد من أداء حجه وقد غفر الله له صغائر ذنبه وكبائرها، فأي تطهير للروح
 أعظم من هذا التطهير؟! (٣) .

والحج يشعر المؤمن بأنه ذلك الإنسان الموصول بكل أهل الإيمان والتقوى من
 عباد الله، وتلك بعض أسرار الحج، ونبذ من معانيه التي يمكن أن يوضّحها
 الوالدان للفتاة في مرحلة المراهقة (٤) .

وما يحسن أن يبين الوالدان لفتاتهما أن الحج جهاد النساء كما قال عليه
 الصلاة والسلام (٥) .

كما أنه مما لا بد أن يؤكداه في هذه المرحلة إشعار المراهقة بأن مسؤوليتها عن
 أعمالها تتقرر من حين ظهور علامات البلوغ، فتصبح مسؤولة عن إيمانها، وعن
 العبادات التي فرضها الله سبحانه، وعن خلقها وسلوكها الاجتماعي، وبالجملة
 فإنها تصبح مسؤولة عن كل سلوك ظاهر، أو مستتر، وهي مسؤولية عظيمة،
 وهي مع ذلك لا تعني أنها لا تناسب مع قدراتها واحتمالها، بل إنها مسؤولية

(١) قوله - تعالى -: ﴿ رَجَالٌ ﴾ : أي مشاة على أرجلهم، ﴿ ضَامِرٌ ﴾ : بغير مهزول، ﴿ فَجَّ عَمِيقٌ ﴾ : طريق بعيد، ﴿ لِيَقْضُوا تَفْهِمًا ﴾ : لزيلاوا بالتحلل أو ساخهم، أو ثم ليؤدوا نسكهم، انظر : كلمات القرآن، حسين مخلوف، ص: ٢٤٣.

(٢) أخرجه البخاري، ك/ الحج، ب/ فضل الحج المبرور، رقم ١٥٢١؛ ومسلم ك/ الحج، ب/ في فضل الحج . . . ، رقم ١٨٥٠.

(٣) تربية الناشئ المسلم، علي عبد الحليم محمود، ص: ١٨٩.

(٤) الإسلام والتربية الروحية للشباب، طه جابر العلواني، ص: ٥٣ - ٥٥.

(٥) راجع عنصر: تعميق روح الجهاد في نفسية المراهقة في هذا البحث.

مقترنة بقدراتها، وإمكاناتها، واستعداداتها التي أعطاها الله إليها؛ وهذا ما يلزم الوالدين إقناع المراهقة به حتى لا تضيق بها صدراً، ولا تستشقلها، وأن تؤمن بأن الله الذي فرضها أعلم بحقيقة طاقتها، ولو لم تكن في طاقتها ما فرضها عليها^(١)، حيث يقول -عز من قائل- : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وإذا كانت العبادات التي فرضها الله - تبارك وتعالى - من صلاة وزكاة وصيام وحج، وشرع لها حدوداً، وبين شروطها وأدابها تسهم في تربية النفس؛ فإن هناك عبادات أخرى لم ترتفع إلى درجة الفرض، وإنما ندب إليها الإسلام، وحبب فيها، ولها شأن كبير في تربية النفس، فينبغي للوالدين ترغيب المراهقة وحثها على إتيانها، ومنها على سبيل المثال:

* نوافل الصلاة والصيام.

* تلاوة القرآن وحفظه، والتعرف على معانيه ومراميه.

* ذكر الله تعالى، ودعاؤه والتوكيل إليه.

وأخيراً: فإن للعبادات في الإسلام عدة آثار تربوية على الفتاة إذا تعودت عليها، منها:

١- تعليمها الوعي الفكري الدائم؛ وذلك إذا قام الوالدان بدورهما في توعيتها بأنه ما من عبادة يقبلها الله - تعالى - إلا إذا اتصفت بما يلي:

أ- إخلاص النية والطاعة لله: لقوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(٢) ، فإذا أدت الفتاة العبادة بروح العبادة الخالصة فإنها سوف تجد

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد الزعلاوي، ص: ٢١٢.

(٢) سبق تحريرجه، ص: ٢١.

فيها لذة، وطعمًا روحياً، ومن ثم ترغب أن تزداد تعبدًا لله تعالى^(١).

بـ- الإتيان بها على الشكل والأسلوب الذي سنه الرسول ﷺ.

جـ- الاستمرار في الخضوع لله ، والتفكير بعظمته ، والشعور بالانقياد له حتى تنتهي العبادة .

دـ- الاستمرار في الوعي للعبادة بحيث تكون الفتاة في مناجاة ، وحوار تعبدى مع الله - سبحانه وتعالى - حتى تتدوّق العبادة ، وترتقي روحياً أكثر وأكثر ؛ ولقد عرض الرسول ﷺ بعض صور هذا الحوار التعبدى فقال : «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ ، مَرْضَتِ فَلَمْ تَعْدِنِي ، قَالَ : يَا رَبَّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانَا مَرْضٌ فَلَمْ تَعْدِهِ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوْ جَدْتَنِي عَنْهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَطَعْتَكَ فَلَمْ تَطْعُمْنِي ، قَالَ : يَا رَبَّ ، وَكَيْفَ أَطْعُمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعْتَكَ عَبْدِي فَلَانَ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوْ جَدْتَ ذَلِكَ عَنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَسْقَيْتَكَ فَلَمْ تَسْقِنِي ، قَالَ : يَا رَبَّ ، كَيْفَ أَسْقِيْكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانَ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوْ جَدْتَ ذَلِكَ عَنْدِي»^(٢) . فهذا له أبلغ الأثر وخاصة إذا تخيلت الفتاة ذلك الحوار الحسابي والعتابي الذي لا بد أن يقع يوم القيمة بينها وبين الله تعالى ، وفي ضوء ذلك تقوم بالأعمال الخيرة ، وبالخدمات لعباد الله في هذه الدنيا ، وعندها ستتجدد لذة الفضيلة ، ولذة عبادة الله بخدمة عباده^(٣) .

وإذا أدركت الفتاة أن كل أعمال المسلم عبادات إذا قصد بها وجه الله؛ فإن

(١) جوانب التربية الإسلامية الأساسية، مقداد يالجبن، ص: ٢٤٩.

(٢) أخرجه مسلم، كـ/ البر والصلة والآداب، بـ/ فضل عيادة المريض، رقم ٢٥٦٩.

(٣) جوانب التربية الإسلامية الأساسية، مقداد يالجبن، ص: ٢٥٠.

هذا الوعي الفكري من شأنه أن يجعلها إنسانة منطقية واعية في كل أمور حياتها، منهجية لا تقوم بعمل إلا ضمن خطة، ووعي، وتفكير، لا تُخدع؛ لأنها في يقظة دائمة، وتراقب الله في كل أعمالها، وهذا هو لب العبادة، ولأنها تعبد الله على ضوء خطة مرسومة، وتقييم حياتها على ضوء هذه الخطة، وهي الشريعة الإسلامية.

٢- تربيتها على الارتباط بالجماعة المسلمة حيثما كانت ارتباطاً واعياً، منظماً، متيناً، مبنياً على عاطفة صادقة، وذلك عن طريق الأعمال التعبدية التي تأتيها مع الجماعة المسلمة - كالحج والزكاة - والتي تُكسبها لذة الشعور بقوّة الذات المسلمة التي تستمد قوتها من خالقها بالدرجة الأولى، ومثل هذه العبادات من شأنها أن تُعلم الفتاة الحياة الشورية القائمة على التعاون، والمساواة، والعدل.

٣- تربيتها على العزة، والكرامة، وإباء الضيم، والاعتزاز بالله؛ لأنّه أكبر من كل كبير، وأعظم من كل عظيم، وببيده الموت والحياة، والرزق، والملك، والجاه، والسلطان؛ فهذه المعاني وأمثالها ترددتها الفتاة دائمًا في عبادتها اليومية السنوية، فإذا استيقظت وعاشت في نفسها استقامت، ولزمت حدودها، فلا ظلم ولا استعلاء.

٤- تربيتها على قدر من الفضائل الثابتة المطلقة التي لا تقف عند حدود الأرض، أو القوم والمصلحة القومية، ولكنها تعم التعامل مع البشرية جمّعاً، فالMuslim هو Muslim بأخلاقه، وإنسانيته أني سار، وحيثما حل؛ لأن ربه واحد يراقبه حيثما كان.

٥- تزويدها بشحنات متتالية من القوة المستمدّة من قوّة الله، والثقة بالنفس المستمدّة من الثقة بالله، والأمل بالمستقبل المستمد من الأمل بنصر الله وثواب

الجنة، والوعي والنور المستمد من نور الله، فهذه الشحنات من شأنها أن تدفعها دائمًا إلى الأمام، وتهبها القدرة المستمرة على الدأب والجهد.

٦ - تجديد نفسها باستمرار بتذكيرها بالتوبة والاستغفار التي تزيل عن قلبها وتصوراته ما قد يعلق بها من أدناس، وتتحوّل من جوارحها أثر ما قد تكسب من آثام أو أخطاء، فيوضحان لها بأن التوبة من الذنب أو الإثم هي : رجوع العبد إلى الله - تعالى - من ذنب سبق اقترافه قصداً أو جهلاً رجوعاً صادقاً خالصاً محكمًا مُوثقاً بطاعات ترقى به إلى مقامات أولياء الله المتقيين، وتحول بينه وبين سبل الشيطان^(١) ، وهي جزء من العبادة؛ لأنها تقوم على تذكر رقابة الله، ونعمه، وجبروته، وعقابه، وهذا التذكير يدعو إلى الندم على ما فرط الإنسان في جنب الله، والإفلاع عن الذنب، والقيام بالعمل الصالح؛ فهي عمليات غسيل دائم للنفس الإنسانية من صدأ الانحراف، ورواسب الزلل، كما يوضحان لها أنها عبادة راتبة يومية ندب إليها رسول الله ﷺ؛ فقد كان يستغفر بعد كل فريضة، وكان يستغفر كل يوم مائة مرة، قال ﷺ: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة»^(٢) ، وقد أمر بها القرآن، حيث قال - تعالى -: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] ، كما يبينان لها بأنه - جل وعلا - قد أخذ العهد على نفسه أن يحوّل أخطاء التائبين، ويعفر لهم في قوله - تعالى -: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وال التربية الصحيحة تتطلب من الوالدين أن يوجدا جوًّا من الشقة بينهما وبين الفتاة، وأن يكون رائدهما الإقناع، وألا يوقعها في عقدة القنوط بالتقرير واللوم

(١) التوبة النصوح في ضوء القرآن والسنة والأحاديث الصحيحة، سليم الهلالي، ص: ٨.

(٢) أخرجه مسلم، ك/ الذكر والدعاء...، ب/ استحباب الاستغفار...، رقم ٢٧٠٢.

إذا ما أسرفت على نفسها، بل عليهمما أن يتّبعوا نهج القرآن في الترغيب والترهيب فيفتحا بذلك للفتاة باب الأمل والتوبة^(١) امثالاً لقوله - تعالى - : ﴿ قُلْ يَا عَبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ .

[الزمر : ٥٣] .

رابعاً: التركيز على جوانب العقيدة المؤثرة في روح الفتاة:

من جوانب العقيدة المؤثرة في روح الفتاة والتي ينبغي مراعاتها في مرحلة المراهقة :

١- أن يؤكد لها الوالدان بأن المبادئ التشريعية التي أنزلها الله - سبحانه وتعالى - تهدف إلى تنظيم حياة الإنسان على أكمل وجه ، وأن الطريق المستقيم الذي بينه الله بتلك المبادئ للإنسان هو طريق الفلاح والنجاة ، وطريق السعادة والراحة في الدنيا والآخرة^(٢) ، ثم الاستدلال على ذلك بالحقائق العلمية ، وضرب الأمثلة الحية لها من واقع حياة الناس ، وكيف أنهم حين خرجوا على تلك المبادئ تَعَسُوا في حياتهم الفردية والاجتماعية ، وأصيروا بالأمراض النفسية والجسمية والاجتماعية .

٢- أن يركزا على ما في الإسلام من إعجاز علمي ، وخاصة جوانب الإعجاز البديهي التي لا تقبل المجادلة والمناقشة ، وأن يستغلا الحقائق والمكتشفات العلمية الحديثة لتربية الفتاة تربية قوية تستطيع بها الدفاع عن دينها دفاعاً قوياً ، وتشعر من خلالها بالاعتزاز بإيمانها الكامل الراسخ بالله ، وبالإسلام .

٣- أن يُكُونُوا لديها الإيمان العلمي بصدق القرآن والوحي عن طريق ما يلي :

(١) التربية الإسلامية للطفل والراهق ، محمد جمال الدين محفوظ ، ص : ١٩١ .

(٢) سوف يرد الحديث عن ذلك في مبحث التنشئة الفكرية .